ISSN: (3006-8614)
E-ISSN: (3006-8622)
Journal of Alma'rifa for Humanities
available online at: https://uomosul.edu.iq/womeneducation/almarifa/

A Book's Biography- Between the Suggestion of the Genre and Dream Execution

Prof. Dr. Ishtar Daoud Mohammed
University of Mosul /College of Education for women

***Corresponding author: E-mail :**
Ishtar.daod@uomosul.edu.iq

***Keywords*:**
Biography, Book, Dream
Genre, Narrative, Subjective
Otherness.

ARTICLE INFO

Article history:
Received **11.Otc.2024**
Accepted **28.Nov.2024**
Available online **17.Mar.2025**

Email:
almarefaa.ecg@uomosul.edu.iq

Journal of Alma'rifa for Humanities
Journal of Alma'rifa for Humanities

ABSTRACT

After literary biographical terms settled somewhat in literary dictionaries, for a period of about a decade, we were introduced to a new type of biography called (book biography), which has its own specific requirements, most notably putting the dream into actual implementation. To specify this type of narrative critically, it is concerned with recounting the events that the author experienced while composing the book, starting from it being an idea to it becoming a book, or afterwards if it deals with narrating the post-publication effects of the book. Wherever the book is found, the dream is found, especially in terms of the blending of reality and fulfilled imagination in the depth of (the book/dream). However, this requires the dominance of the literary character over the direct reporting

© 2025AJHPS, College of Education for Girls, University of Mosul.

سيرة كتاب –ما بين اجتراح النوع وإجراء الحلم–

أ.د. عشتار داود محمد
كلية التربية للبنات/ جامعة الموصل

الخلاصة:

بعد أن استقرت مصطلحات السيرة الأدبية في المعاجم الأدبية نوعاً ما، لمدة تناهز عقداً من الزمن، ظهر لنا نوع سيري جديد اصطُلح عليه (سيرة كتاب)، الذي له مقتضياته النوعية، ومن أهمها وضع الحلم قيد التنفيذ الفعلي. ولتحديد هذا النوع السيري نقدياً فهو معنيّ بسرد الأحداث التي مرّت على الكاتب أثناء تأليف الكتاب، ابتداءً من كونه فكرة إلى تحققه كتاباً، أو بعد ذلك إذا ما عُنِي بسرد ما بعد نشر الكتاب من آثار. فأينما وُجِد (الكتاب) وُجِد الحلم، لاسيما من حيث المزاوجة ما بين الواقع والخيال المتحققة في بودقة (الكتاب/ الحلم)، إلا أن ذلك يستوجب طغيان الطابع الأدبي على التقريري المباشر.

الكلمات المفتاحية: سيرة كتاب، حلم، نوع، سرد، ذاتية، غيرية.

المقدمة

❖ **في سبيل التقديم:**

رغم التطور الذي اجتاح مفاصل الحياة كافة كما اجتاح الفنون عامة ومن بينها الأدب، إلا أنه صار من المسلّم به اليوم عدم القدرة على إيجاد جنس أدبي غير جنسَي الأدب الرئيسين الشعر والنثر، على الرغم من وجود بعض الآراء التي ترى في النص المسرحي جنساً مستقلاً، مع إن هنالك آراء تقول إنه نوع من أنواع جنس النثر، غير أنها -رغم ذلك- لم تجترح جنساً أدبياً جديداً. فحتى وإن ظهرت نصوص تزاوج بين جنسي الشعر والنثر، فهي تبقى تستقي ركائزها منهما، بوصفهما المنهلين الرئيسين مع الميل لأحدهما فيما يسمى بالتداخل الأجناسي، وإذا ما تساوت مسارب النص من هذين الجنسين كان نصاً مفتوحاً على التجنيس كما نرى، هذا إذا ما نظرنا إلى مسألة التجديد الأجناسي على وجه التعميم، أما إذا دخلنا إلى تفاصيلها الداخلية، متجاوزين شمولية الجنس الأدبي متقصين خصوصية أنواعه، فإننا سنجد أن ثمة أنواعاً جديدة تنبلج لنا بين الفينة والأخرى.

وإذا شئنا تخصيص كلامنا نقول إنه بعد أن استقرت مصطلحات السيرة الأدبية في المعاجم الأدبية نوعاً ما، لمدة تناهزس عقداً من الزمن، ظهر لنا نوع سيري جديد اصطُلح عليه (سيرة كتاب)، الذي له مقتضياته النوعية، ومن أهمها وضع الحلم قيد التنفيذ الفعلي.

❖ **نظرة في المفهوم النوعي:**

ولتحديد هذا النوع السيري نقدياً فهو **معنيّ بسرد الأحداث التي مرّت على الكاتب أثناء تأليف الكتاب، ابتداءً من كونه فكرة إلى تحققه كتاباً، أو بعد ذلك إذا ما عُنِي بسرد ما بعد نشر الكتاب من آثار.**

ولم يرد مصطلحاً صريحاً قبل الناقد **عبد الله إبراهيم** الذي أسس له اصطلاحياً، ووظفه ابتداءً من عنوان كتابه الذي حمل عنوان **(موسوعة السرد العربي- سيرة كتاب)**، مروراً بالكتاب بأكمله، إذ يصرح الكاتب -مشيراً إلى ذلك- بأنه يسعى في هذا الكتاب إلى تدوين سيرة كتابه الرئيس بوصف "هذا

الكتاب سيرة لموسوعة السرد، أو هو على وجه التقريب، سيرة ثقافية لها ولمؤلفها، (..) في سياق عصرها، وهي الغاية المرجوة من تأليفه" (إبراهيم، 2021/ 9). فسيرة الكتاب إذن تروي سيرة ذات تحقق سردي، ترتبط بموضوعة (الكتاب) منذ بدايتها حتى نهايتها.

وسيرة الكتاب هي من السير النادرة التي أغفلتها المعاجم الأدبية وكُتُب النقد السيري، نتيجة قلة وجودها أدبياً، إلا أن قلة الوجود لا تعني عدم الوجود بالضرورة، لذا نؤكد على أن ظهور هذا النوع حديثاً، هو ظهور نقدي وليس أدبياً، لأن الوجود النوعي كائن بالفعل قبل اجتراح النوع، وهو أمر بديهي ناجم من أن النقد يأتي بعد الأدب، فهو يتبعه عادةً. وفي هذا المعرِض يطالعنا الناقد عبد الله إبراهيم وهو يقول:

"ولستُ عارفاً بتجربة مثيلة تولّت عملية التأليف بكاملها، بما يدعمها من وثائق في بناء صورة استعادية لتجربة تأليف طويلة المدى" (إبراهيم، 2021/ 10). وتعليقاً على هذا التصريح من الناقد الكبير، نرى أن عبد الله إبراهيم هو أول مَن أسّس لمصطلح (سيرة كتاب) نقدياً، كما أن سيرة كتابه كانت سيرة متكاملة، أخذت مداها الكافي من حيث الكم والنوع معاً، فضلاً عن استيفائها متطلباتها السيرية بشكل متكامل أيضاً، بخلاف الكثير من النماذج المقتضبة، أو السطحية، ذات الطابع التقريري، كما أنه أول مَن كتب سيرة كتابه بوعي كامل بأنه يكتب في هذا النوع الأدبي، فثمة مَن كتب سيرة كتاب من دون أن يدرك ماهيته النوعية نقدياً كما سنوضح لاحقاً، كما في رواية (بائع الأمل) لناهض الرمضاني، على سبيل المثال لا الحصر، التي اتخذت طابع سيرة الكتاب المزدوجة، إذ نجد الكتاب الأدبي وسيرته في مدونة لسانية واحدة، بخلاف سيرة كتاب عبد الله إبراهيم، التي كانت في كتاب آخر موازٍ للكتاب مادة السيرة.

❖ **ضرورات النوع (الواقعية/ الحلمية):**

ومن الجدير بالذكر إن وضع سيرة الكتاب تحت الرصد يجعلنا نرى أنه فضلاً عن طرافة هذا النوع السيري، نلمس بعده الحلمي الذي تمظهر على هيئة (الكتاب/ الحلم)، إذ تبدأ سيرته وهو حلم في خيال الكاتب، وأخذ يكبر شيئاً

فشيئاً، عبر وضع الحلم قيد التنفيذ، لتسرد أغلب صفحات السيرة ذاك التنفيذ الحلمي للكتاب، حتى تحوّل إلى حقيقة، بأن ينتهي التنفيذ العملي للحلم بالإنجاز، إذ غالباً ما تنتهي سيرة الكتاب بتحقق (الكتاب/ الحلم).

فهذا التحقق جعل صاحب الكتاب يعيش حالة من الحلم الذي وضعه قيد الإجراء الفعلي، وهنا تنبلج موضوعة الزمن بقوة وهي تتأرجح بين الماضي والمستقبل، فهي تحيل للماضي من حيث كونها سيرة، وهي تحيل للمستقبل من حيث بعدها القصدي الحلمي. والخيال -كما هو معلوم- من العناصر الرئيسة لكل أدب، نظراً لتمحوره حول الوظيفة الجمالية ذات البعد التمويهي، من خلال عدم صياغة الفكرة بطريقة مباشرة. وإن توظيف هذا الخيال في رسم معالم المستقبل، مع الاستفادة من المعطيات الماضوية، يدخلها بلا جدال في خانة (الحلم). ولكن أن يتم تسخير الخيال -بدلاً من ذلك- لأجل صياغة جديدة للماضي، والانخراط تماماً في دائرته، وتناسي أو نسيان المستقبل تماماً، يدخلها في خانة (الوهم) الذي سيكون له مردوده العكسي، وعبر وأْد الحلم قبل أن يحقّق أي تمظهر حياتي له. فليس من الممكن أن يبقى الحلم وهماً، وإنما لابد من إنعاشه بالفعل" (جبرا، 1986/ (الفصل الأول)). وبناءً على ذلك نرى أن الحلمَ شرطٌ لكينونة ثيمة سيرة الكتاب.

إلا أن هذا البعد الحلمي يقترن بتمظهر مختلف ومؤتلف في آنٍ معاً عبر البعد الواقعي، الذي يعد هو الآخر الضرورة الأخرى لسيرة كتاب، وهي ضرورة تقتضيها طبيعة مادة السيرة بطابعها السردي التوثيقي، على الرغم من ضرورات الأدب الجمالية، عبر مزاوجة عجيبة في بودقة السيرة الأدبية، التي تفارق غير الأدبية في نقطة توليفها بين الواقع والخيال تحديداً، أو بتعبير آخر إذابة "الفواصل بين عالميه السردي والواقعي" (إبراهيم، 2021/ 24). وأبرز ما يجمع بين العالمين السردي -الخيالي- والواقعي، هي الذاكرة التي تمثل ضرورة حتمية من ضرورات السيرة الأدبية ذات التتابع السردي، فسرديتها تجعل من البعد الواقعي غير حتمي الوقوع، عبر احتمالية وقوع الأحداث غير الحاسمة، "فليس من المهم من وجهة نظر الدراسات السردية، وقوعها أو عدم وقوعها، بل المهم

التصديق باحتمال حدوثها، سواء أوقعت فعلاً أم كانت محتمَلة الوقوع في السياق الحاضن لها، فذلك يجعلها مدرَكة بالعقل أو بالمخيلة أو بهما معاً" (إبراهيم، 2021/ 28).

ومن المقتضيات الواقعية للكتاب أي كتاب، ترجمته التعبيرية لثقافة ثلاثية التشكل، أذ تجتمع في بودقته ثقافة الكاتب خاصة وثقافة عصره عامة وثقافة المادة التي يعرضها ذلك الكتاب، لاسيما إذا تكلم على عصر ثقافي معين، "فاقتضى ذلك وضع قضية التأليف برمتها موضع المساءلة، وترويضها لأعراف السياق الثقافي الحامل لها" (إبراهيم، 2021/ 9).

وهذا ما يجعل من **الميثاق السير ذاتي**، لهذا النوع السيري يعتمد على المواثيق الكتابية، لاسيما الوثائق الورقية والألكترونية، فضلاً عن اليوميات، ويعود ذلك لطبيعة الكتاب ذاته سواء أكان ورقياً أم ألكترونياً، بوصفه مادةَ هذا النوع من السيرة، مع وجود المواثيق الأخرى، التي تتوفر في كل عمل سيري، إلا أن حضور الوثائق يكون في سيرة كتاب أكثر تحققاً من السير الأخرى، فالوثائق ضرورة من ضرورات سير الكتب، أما في الأنواع السيرية الأخرى فإن وجود الوثائق ليس شرطاً ضرورياً مرتهناً بوجودها كما في (سيرة الكتاب)، فالوثائق تراوح بين الحضور والغياب في أنواع السير الأدبية الأخرى.

❖ **مسارب النوع السيري:**

وقعت سيرة الكتاب نتيجة ازدواجيتها (الحلمية/ الواقعية) إلى التأرجح في ميلها إلى أحد هذين الجانبين، فإذا ما كان الطابع الحلمي الجمالي طاغياً كانت سيرة أدبية للكتاب، وإذا ما كان الطابع الواقعي طاغياً تخلت عن أدبيتها وكانت تقريرية مباشرة. وهنا لابد من التنويه إلى أن المادة التقريرية الموجودة في ثنايا مقالات وكتب متفرقة لاسيما كتب التراجم والطبقات ومقالات موازية ومقدمات تتكلم على تأليف الكتاب، هي مادة تصلح لأن تمد سيرة الكتاب بالمواثيق السيرية، لا أن تكون هي ذاتها سيرة للكتاب، لعدم استيفائها شروط سيرة الكتاب الأدبية.

وقد تشعبت في أنواعها الداخلية كما نرى، إذ إننا نجد سير الكتب تتنوع، حتى تغدو أوسع من ارتباطها بسرد أحداث كتابة كتاب معين، على الرغم من إنها تشملها كما تشمل نوعين آخرين، لتغدو (سيرة الكتاب) ذات هيكلية اختزلناها في الترسيمة الآتية:

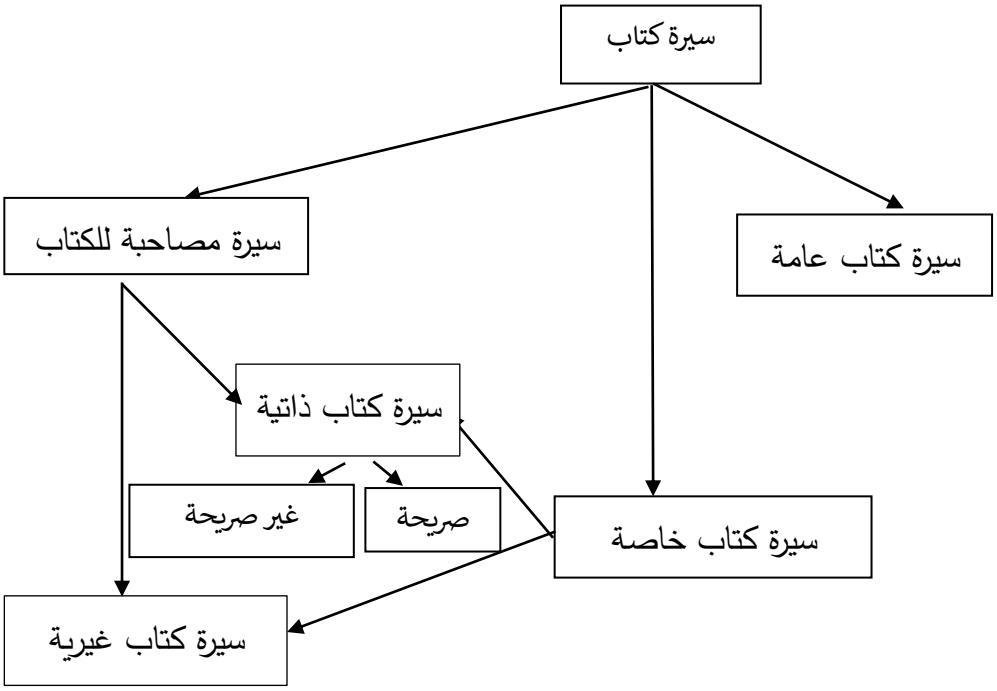

بناءً على ذلك تتفرع سيرة الكتاب بدورها إلى ثلاثة أنواع رئيسة هي:

أولاً: سيرة كتاب عامة:

وهي سيرة تصلح لأي كتاب، وهذه تخلو من ارتباطها بشخص كاتب معين للكتاب، نتيجة عدم ارتباطها بكتاب بعينه، وإنما للكتب على وجه التعميم، ومن الممكن أن تكون بصيغة أدبية، ونرجح صيغة أدب الطفل ذي الطابع التعليمي. وثمة تشكل آخر يبتعد عن كونه مادة أدبية بأن يطغى الجانب التقريري الإخباري التاريخي عليه، بعيداً عن الصياغة السردية الأدبية، وفي هذه الحال سنبتعد عن السيرة الأدبية، ونكون أمام مادة تاريخية صالحة لأن تمدنا بالمواثيق لا أكثر. فعلى سبيل المثال نجد أن الكتاب الذي يحمل عنوان (أنا الكتاب وهذه سيرتي-

سيرة الكتاب ابتداءً من ورق الشجر وصولاً إلى شاشة الأنترنيت) ليس سيرةً أدبية للكتاب، وإنما كتاباً ذا طابع تاريخي بلغة علمية، وإذا كان فصله الأول يحمل عنوان (قصة الكتاب) (عاصي، 2010/ 13). فإن مادته التاريخية تصلح لمد الأدب –لاسيما أدب الطفل– بالمادة قبل صياغتها الأدبية لا أكثر.

ثانياً: سيرة كتاب خاصة:

وهي تسرد حياة كتاب بعينه، وهذه بدورها تنقسم على: سيرة كتاب ذاتية، وسيرة كتاب غيرية:

1. **سيرة كتاب ذاتية:** وهي تسرد سيرة كتاب الراوي ذاته، وتتخذ طابعاً ذاتياً، لهذا تختلط أحداثها بالسيرة الذاتية، مما يجعلها تتداخل كثيراً معها، إلا أنها تتحدّد بالجانب الخاص بتأليف الكتاب من تلك السيرة أو ما يجاوره، ونرى أن البعد الحلمي يتجلى بشكل أكبر في هذه السيرة، وذلك ناجم من ذاتيتها. كما ترتكز كثيراً على اليوميات، وهو ما جعل عبد الله ابراهيم يقول:

"نهجتُ في تدوين سيرة الموسوعة نهجي في تدوين سيرتي الذاتية، فاستندتُ فيهما إلى اليوميات الشخصية التي غطت الحقبة شبه الكاملة لكليهما، وقد نافت على أربعين عاماً، ولم أكتفِ بما ذكرت، بل عدتُ إلى الوثائق والمستندات" (إبراهيم، 2021/ 10). وقد أشرنا في المبحث الثاني من هذه الدراسة إلى أن طبيعة مادة هذا النوع من السيرة الخاصة بـ (الكتاب) تقتضي أن تُستقى المواثيق السيرذاتية من مادة ورقية أو ألكترونية، كما هو الكتاب.

وهذا النوع يتفرع بدوره أيضاً –كما نرى– إلى:

أ. **سيرة كتاب ذاتية صريحة:** وفي هذا النوع يؤكد الكاتب بنفسه إنه يكتب سيرة لكتابه بقصدية كاملة، وهذه القصدية هي استحضار للمروي له بالضرورة. إذ "توفر القصدية نزوع التفكير الواعي للوصول إلى غاية، أي تحقيق الصلة بين الوعي والموضوع" (إبراهيم، 2021/ 21). وهذا يعود إلى أن الكاتبَ هو ناقدٌ – على الأغلب– بالدرجة الأساس، لهذا فإن حسه النقدي التصنيفي يقوده إلى تصنيف نصه الأدبي نقدياً، بحسب النوع الذي ينتمي إليه، مما يجعل من نصه

أقرب إلى الواقع منه إلى الخيال، وهو أيضاً أكثر تنظيماً بتراتبية منطقية، وهذا النوع هو الذي ينتمي إليه كتاب عبد الله إبراهيم مؤسس المصطلح في كتابه آنف الذكر. فلم يغب حسه النقدي وهو يضطلع بتسجيل هذه السيرة لكتاب ينتمي لميدان النقد أيضاً، كما ينتمي إليه كاتب هذه السيرة، إذ يُبرِز الجانب النقدي – وهو في معرض التأسيس للمصطلح– عندما يرى أن "وقوف المؤلف شاهداً على تجربة كتابه... غايتها بأهمية دور تاريخ الأدب في إبراز تطور الأفكار النقدية، بما يلبسها من مفاهيم ومناهج" (إبراهيم، 2021/ 10).

يقترن الكاتب بالناقد إذن، فكلاهما واحد، ويكمن خارج حدود نص السيرة، وداخل حدود الكتاب الأول الذي يمثل مادة السيرة. لتكون هذه السيرة موازيةً لا لحياة (الأديب/ الناقد) فحسب، وإنما في أن تجعل الجانب الموازي النقدي مضاعَفاً بوصفه يحمل جانبين: سردي ونقدي في آن معاً، علماً أن كلاهما يوازي الكتاب الذي يسرد أحداثه من جانب، فالسردي يوازيه من حيث تراتبية تشكل الأفكار، والنقدي يوازيه من حيث منطقية تشكلها.

فالكاتب في سيرة الكتاب هو الناقد ذاته وهو الراوي أيضاً، وهو الشخصية المقترِنة بالكتاب. فإذا كانت المطابقة التي يقتضيها فن السيرة الذاتية، بين كل من (الكاتب والراوي والشخصية) (لوجون، 1994/ 51– 52؛ ماي، 1992/ 193). فإن التوحيد بين هذه الأركان في السيرة الذاتية للكتاب يكون على النحو الآتي:

(الكاتب/ الناقد) = الراوي = (الشخصية المقترِنة بالكتاب)

فمادامت السيرةُ المسجَّلة هنا هي سيرةً لكتاب نقدي، فإن لها خصوصيتها من حيث كونها تضع أسسَ هذا النوع السيري قيد الإجراء الفعلي التطبيقي، وهي تؤسس له، وتصطبغ بصبغةٍ ما، سنجترح عليه بـ (السرد النقدي)، وهي تسمية ارتأيناها لميدان جديد في النقد، يمثل سيرة كتاب نقدي. فهي إذن سيرة تنتمي إلى حقلين مختلفين مؤتلفين في آن معاً، من حيث كونهما متقاطعين في نقطة، لكونهما يمثلان سيرة كتاب نقدي.

ب. **سيرة كتاب ذاتية غير صريحة:** وفي هذا النوع لا نجد أية إشارة صريحة إلى نوع سيرة الكتاب، وقد يلعب نص السيرة دوراً مزدوجاً، مما يعني عدم الحاجة لنص

آخر موازٍ يسرد السيرة، كما من الممكن أن تكون في نصٍ موازٍ آخر. ويعود السبب في ورود سيرة الكتاب بشكل مضمر، إلى الانشغال الكامل بمسرود السيرة الأدبية، من دون نمذجتها النظرية إلى نوع سيري معين، كما قد يبقى الكاتب متذبذِباً وغير حاسمٍ في تصنيف كتابه وإدراجه ضمن سيرة كتاب، وربما يدرجه ضمن نوع آخر، لهذا فهي من دون قصد سابق أو ربما لاحق أيضاً في كتابة سيرة لكتاب ما، ويعود ذلك لأسباب تتفاوت من سيرة كتاب إلى أخرى، فقد يكون السبب عدم الاطلاع على هذا النوع الجديد نقدياً لا أدبياً، لأن النقد يأتي بمرحلة لاحقة للأدب، أو أن يكون الكاتب غير معني بمسألة التجنيس إطلاقاً، فثمة مَن كتبوا سير كتبهم لكن من دون وعي منهم بخصوصية النوع الذي يكتبون فيه، أو أن يرتئي ترك التصنيف لدار النشر أو القارئ، وقد يتظاهر بذلك لأسباب إعلامية وقرائية.

وقد يكون أحد الأسباب السابقة هو ما دعا صاحب رواية (بائع الأمل) إلى تسجيل كلمة (رواية) على غلافها، مع الإيحاء للقارئ بعدم قناعته التامة بالكلمة، في متن الكتاب، ويعود ذلك –كما نرى– إلى أن (الكاتب/ الأديب) غير ملزَم بالتصنيف بوصفه ينتمي بشكل كلّي إلى ساحة الأدب، ويبتعد عن ساحة النقد، من هنا نجد كاتب هذه الرواية نفسه يتساءل، من دون أن يحسم أمره وهو مازال واقفاً على عتبة مقدمة كتابه هذا قائلاً: "قد يقولون عن كتابي إنه سيرة ذاتية أو ربما مجموعة من القصص أو ربما رواية (..) حسناً إذن اعتبروها رواية أضع فيها نفسي أنا شخصياً" (الرمضاني، 2015/ 7). وهو إذ يرجح الرواية هنا، فإنه يتبناها بمفهوم ريلز الذي يقترب من مفهوم الكتاب كثيراً، بوصفها "مثل الحقيبة.. بإمكاننا أن نضع فيها ما نشاء، (...) وعليكم أن تنتقوا منها ما تحبون"(الرمضاني، 2015/ 389). وإذا ما عدنا للكتاب سنجده رواية سيرية مستوفية شروط (سيرة الكتاب) التي أسس لها عبد الله إبراهيم، إذ يستهل أحداثها بحدث شروعه بكتابة الكتاب قائلاً:

"الآن لابد لي من أبدأ بالكتابة أو أن أتركها نهائياً" (الرمضاني، 2015/ 7).

"قد يتاح لي إكمال هذه الأوراق. وقد لا يتاح لي ذلك.. قد أتمكن يوماً من نشرها.. وقد لا أتمكن.. قد تقرؤونها إذا نُشِرت، أو ربما لن يقرأها أحد...

ولكنني رغم كل شيء سأكتب"(الرمضاني، 2015/ 7).

وراح على مدى صفحات كتابه يستعرض مراحل حياته المتلاحقة وهو يطارد ظِلال حلم الطفولة المتمثل في إنجاز تأليف (الكتاب) (الرمضاني، 2015/ 388). فعلى الرغم من إنه وضع كلمة رواية على الغلاف، إلا إنه تخلى عن التسمية داخل الكتاب، فكثيراً ما تبنى كلمة (الكتاب) الأكثر تعميماً (الرمضاني، 2015/ 344). مما يشعرنا بأنه لم يحسم أمره بماهية ما يكتب، أو لا يعنيه ذلك، بقدر ما يعنيه المكتوب ذاته، حتى انتهت الرواية بحدث اكتمال ذلك الكتاب، بعد أن كانت قد ابتدأت بانطلاق الكتابة به، تاركةً القارئ يتساءل عن سبب انتهائها، والأحداث المواكِبة للكتابة مازالت في ذروة احتدامها، إذ يختمه وهو يقول في الصفحات الأخيرة:

"لن أحاول العمل أكثر على هذا الكتاب... سأكتفي بتصحيحه ثم طباعته... سأبدأ بذلك في أقرب وقت... سألقي عبئه عن كتفي... ربما لأبدأ بالعمل على كتاب جديد" (الرمضاني، 2015/ 390).

والجدير بالذكر هنا، إننا نجد الأمر هنا مختلفاً عن سيرة الكتاب الصريحة التي تمثلت بكتاب عبد الله إبراهيم آنف الذكر، ليس في كونها غير صريحة في إعلان النوع السيري حسب، وإنما أيضاً في كون هذا النوع غير الصريح لسيرة كتاب (بائع الأمل) لم يتجلَ عبر كتاب موازٍ آخر كما لدى إبراهيم، الذي تجسدت سيرة الكتاب لديه في كتاب آخر غير كتاب موسوعة السرد، هو كتاب (موسوعة السرد العربي- سيرة كتاب). فيمثل كتاب (بائع الأمل) الكتاب ذاته وسيرته في آنٍ معاً، فقد لعب نص الكتاب دوراً مزدوجاً، مما يعبر عن عدم الحاجة لكتاب موازٍ يسرد السيرة. وإذا كانت سيرة كتاب (بائع الأمل) على هذا النحو، فليس شرطاً أن تكون كل سيرة غير صريحة لكتاب على هذا النحو، إذ من الممكن أن تكون في نصٍ موازٍ آخر من دون التصريح.

1. **سيرة كتاب غيرية:** وهنا يكون راوي سيرة الكتاب ليس هو الذي أنشأه، وأبرز مثال يطالعنا عبر سرد سيرة كتاب كاتب آخر غير سارد سيرة الكتاب، هو الكتاب الذي يحمل عنوان (حياة الكتب السرية ليلة قرأ فرانكشتاين دون كيخوت– تاريخ الأدب المنسي) للكاتب الإسباني سانتياغو بوستيغو، إذ يتكلم الكتاب عن قصة تأليف مجموعة من الكتب الشهيرة، مفترضاً سيرة منسية، لسياق ثقافي تاريخي تسبب في إضمار سرقات أدبية. وبهذا تتحقق عائدية لفظة (المنسي) الوصفية في تذييل العنوان إلى (تاريخ الأدب)، إلا أن طغيان الافتراض الأدبي الخيالي، في صياغة قصص الكتاب، الذي تفنده الوقائع التاريخية، يجعل منه عملاً جدلياً عند وضعه في بودقة النقد الثقافي، المعني برصد الأنساق المضمرة، لأن الأخير قائم على الحقائق المضمرة، لا على افتراضات مسلم بعدم حدوثها تاريخياً. أما من الناحية السيرية فمن الممكن إدراجه ضمن النوع السيري للكتاب، لأن السيرة الأدبية تشاكل بين الحقيقة والخيال، ففي هذه القصص "أسرار الكتب، أو أسرار الكاتب المجهولة والمعقولة، منطقياً، والتي لم يسبق أن تداولتها كتب التاريخ، ولم يتثبّت المؤرّخون من صحّتها. ولعلّ لعبة الكاتب سانتياغو الإبداعية تقوم على هذه المعقولية في الأحداث، التي لم تكن لتخطر على بال" (أبو زيد، INDEPENDENT عربية، 1إبريل، 2013).

وهنالك تجلٍ لسيرة الكتاب الغيرية تتخذ الطابع الواقعي الدرامي، كما في كتاب (رأس المال لكارل ماركس– سيرة) لمؤلفه فرانسيس وين، الذي يروي في الفصل الأول وجزء من الفصل الثاني، سيرة كتاب كارل ماركس وحياة كاتبه وظروفه أثناء تأليف الكتاب، بطريقة درامية، إلا أن الكاتب ينخرط بعد ذلك في تقييم الكتاب ومناقشة الظروف المحيطة. ومن الواضح أن عتبة عنوانه ضمت اسم الكتاب –مادة السيرة– متبوعاً بكلمة (سيرة)، مروراً بفصول الكتاب بعد ذلك، التي تفرعت إلى ثلاثة، تتقدمها عنوانات سيرية بحتة، وهي: (الحمل، الولادة، الحياة اللاحقة). وتبع ذلك كلمة الغلاف الخلفي التي ورد فيها: "قصة الكتاب الذي جلب (لكارل ماركس) الشهرة" (وين، 2007/ (الغلاف الخلفي)). ثم يرِد ما يؤكد ذلك: "يرسم (وين) لوحة (ديكنزية) للكفاح الذي خاضه (ماركس) على مدى

عشرين عاماً بغية إتمام رائعته" (وين، 2007/ (الغلاف الخلفي)). وفي العموم فإن الكتاب قدم لنا كيف تحول حلم كتاب إلى حقيقة كان لها تأثيرها في مسار الأحداث.

ثالثاً: سيرة مصاحِبة للكتاب:

وهي سيرة أدبية تروي تأثير الكتاب في حياة صاحب السيرة، سواء أكان كتاباً واحداً أو مجموعة كتب، وقد يكون ذلك التأثير كبيراً ويحقق انقلاباً في الأفكار، وقد يكون التأثير متوسطاً محققاً انعطافة ما، وقد يكون مواكباً من دون تغيير، بأن يكون أسلوب حياة صاحب السيرة ملازِماً للكتاب، وكثيراً ما يختلط هذا النوع بالنوع السابق –سيرة كتاب خاصة– فعبر سرد سيرة كتابة كتاب معين يجري التعريج إلى أثر الكتاب في حياة كاتبه، لكن المقصود هنا غير ذلك، أي تأثير الكتاب في غير حالة التأليف، فإذا ورد ذلك التأثير مع تأليف الكتاب، يتم التمييز بينهما، وتصاغ هذه السيرة المصاحِبة للكتاب بطريقتين:

1. **سيرة ذاتية مصاحِبة للكتاب:** بأن يكون صاحب السيرة المصاحِبة للكتاب هو الذي يرويها، وهو بصحبة كتاب ما أو مجموعة كتب. وقد تكون ضمن نص أدبي ذي طابع سردي، فيتجلى الحلم وتأثيره في تغيير حياة مَن يتكلم عليه هذا النوع، كما في كتاب (الكتب في حياتي) لهنري ميللر، والذي وُضِعت كلمة (رواية) في غلافه الداخلي، متخذاً الطابع السيري الذاتي، إذ يصرح ميللر بذلك منذ مقدمته للكتاب قائلاً: "إن الهدف من هذا الكتاب (..) هو أن أحكي قصة حياتي، إنه يحكي عن الكتب كتجربة حيوية" (ميللر، 2012/ 9). ويتخذ الكتاب الطابع السردي، ليكون سيرة ذاتية روائية (مصاحِبة للكتاب) قائمة على الاعترافات. وثمة كتاب آخر يحمل عنواناً مشابهاً هو (الكتب التي دمرت حياتي) لداريا بنياردي، وهو أيضاً يحمل طابعاً سيرذاتياً قائماً على الاعترافات بما سببته الكتب من خيبات درامية. إذ من الممكن أن نجد المعادلة الحلمية معكوسة، بأن يكون تأثير الكتاب سلبياً من الناحية الحلمية، عندما يتسبب الكتاب في الاندماج العاطفي الدرامي لدى (القارئ/ الكاتب) الذي يبوح باعترافاته القرائية للكتب، أو أن يتسبب في بناء الحلم وهدمه.

وقد تكون هذه السيرة ذات طابع تقريري لسيرة مصاحبة للكتاب، لذا لا يظهر فيها الحلم بوضوح، وعندها لا تمثل هي ذاتها المادة الأدبية، وإنما هي مادة صالحة للإفادة منها توثيقياً عند تشكيل نص أدبي سردي يتكلم على تأثير الكتب في حياة صاحب السيرة.

2. **سيرة غيرية مصاحِبة للكتاب:** بأن يضطلع راوٍ آخر غير صاحب السيرة المصاحِبة للكتاب بروايتها. وكثيراً ما تتزامن مع نوع السيرة الغيرية للكتاب، وهي كذلك تتفاوت في كونها أدبية أو غير أدبية بحسب طريقة صياغتها، وقربها أو بعدها من الحلم، كما في الفصل الذي يروي سيرة ماركيز المصاحِبة لكتاب (مئة عام من العزلة)، وتأثير الكتاب في تغيير حياته، وقد أوردها كاتب آخر غير ماركيز، وهو صاحب كتاب (في صحبة الكتب) (حسين، 2017/ 253-260). وقد اختلطت في المقال سيرة الكتاب الغيرية، بالسيرة المصاحِبة للكتاب، والكلام نفسه ينطبق على كتاب (رأس المال لكارل ماركس- سيرة) آنف الذكر، الذي اختلط في فصله الأول وجزء من الثاني النوعان السيريان معاً. ومن الممكن أن تأتي هذه السيرة بشكل منفرد.

❖ **التصنيف الموضوعي وظاهرة (التأثير والتأثر):**

ولإعطاء الموضوع حقه من النظرة الشمولية، نرى أنه على الرغم من وجود التصنيفات الموضوعية للأدب، ذات الطابع الثيَمي، إلا أننا لانجد تصنيفاً للأدب يراعي موضوعة (الكتاب)، إذ إننا نرى أن هذا النوع السيري المتمثل بـ (سيرة الكتاب) يندرج ضمن صنف أدبي أكبر وأكثر تعميماً من الممكن أن نجترح عليه (أدب الكتاب)، وهو -برأينا- **كل أدب يتخذ من الكتاب مادةً له، سواء أكان سيرياً أم غير سيري**، ونؤكد هنا على وجود أدب غير سيري ينتمي ثيمياً إلى موضوعة (الكتاب) أيضاً، كما في روايات وقصص وقصائد تدور بالكامل في موضوعة الكتاب. وإذا أردنا التحديد سنقتصر على نماذج لـ (أدب الكتاب) عامة، لمسنا التداخل فيما بينها عبر ظاهرة (التأثير والتأثر) التي تجمع الآداب العالمية التي كُتِبَت بلغات مختلفة، منها:

سلسلة الكاتب الإسباني كارلوس زافون (مقبرة الكتب المنسية)، لاسيما في روايته الأولى (ظِل الريح)، التي تصف أروقة مكتبة للكتب المنسية، التي يبرز من بينها كتاب (ظِل الريح)، بوصفه يمثل نسخة وحيدة مندسة بين كتب المكتبة، مجسدة رحلة الشخصية الرئيسة مع هذا الكتاب (زافون، 2016/ 7- 13). ففيها الكتب كائنات حية ترفض أن تنقاد.

ومن تمثلات أدب الكتاب غير السيري عربياً سلسلة (مملكة البلاغة)، إذ تدور رواياتها حول القدرة السحرية للكتب على تغيير حياة الأشخاص، لتروي كل رواية من روايات تلك السلسلة، رحلة الشخصية الرئيسة، أو الشخصيات الرئيسة مع كتاب معين، وهي روايات ذات طابع فانتازي. وهنا نسجل دخول مجموعة روايات سلسلة (مملكة البلاغة) لحنان لاشين، في دائرة تأثير (مقبرة الكتب المنسية) لكارلوس زافون، لاسيما في وصف أروقة مكتبة كتب المملكة (لاشين، 2016/ 270- 272). والقدرة السحرية للكتب، في حضور لافت للأدب المقارن كما نرى. وعموماً كلاهما يندرج موضوعياً ضمن ما اجترحنا عليه (أدب الكتاب).

كما نجد في الجزء الثاني من سلسلة حنان لاشين الذي يحمل عنوان (أوبال)، اختلاط شخصيات روايات خمس لـ (الكاتب/البطل) مع بعض، متجسدة أمامه محاورة له، وتسير الأحداث في رواية جديدة بطريقة كارثية، مما دعا إحدى الشخصيات لنصح (الكاتب/ البطل) بمسك القلم وصياغة نهاية جديدة للرواية على النحو الآتي:

"قالت (مَيسان) بجدية شديدة وهي تمسك بكف صغيرها وتوجهه نحو (يوسف):

- أُكتُب جملة النهاية بدمائه في كتاب (أيجدور).
- ماذا سأكتب! (...)
- لا تترك النهاية مفتوحة يا بُنيّ... أرجوك.

(..) فأمسَك بكف الصغير (..) فكتب (يوسف) بها:

((وأُغلِقَت الدروب للأبد، وبدأت مملكة البلاغة تعود لسابق عهدها))

صاحوا جميعاً بصوت واحد مبتهجين" (لاشين، 2018/ 335).

وهنالك أمثلة كثيرة منها سلسلة أعمال الكاتب الفرنسي غيوم ميسو لاسيما في روايته (الحياة رواية)، التي تنتمي إلى (أدب الكتاب) عامة، مع وجود التشابه مع رواية (أوبال) في تحكم الشخصيات في كتابة الأحداث الروائية، إذ نجد (الكاتب/ البطل) يقول:

"((خبطَت شاشة جهاز الكمبيوتر وأنا مصاب بالذعر (...). اللعنة هي المرة الأولى التي تخاطبني فيها إحدى شخصياتي أثناء كتابتي للرواية)).

هكذا تبدأ قصة الروائي الباريسي رومان أوزورسكي" (ميسو، 2021/ 236).

فشخصية روايته التي تجسدت أمامه متحدية هي أيضاً كاتبة للروايات، لذا يقول: "إذا كانت فلورا، في واقعي، شخصية من رواياتي، ففي روايتها، كنتُ أنا من يؤدي هذا الدور وكنتُ دمية بين يديها" (ميسو، 2021/ 237). وبما أن ليس هنالك ما هو اعتباطي أدبياً، فإننا نلمس مساحة للتأثير والتأثر بين رواية (أوبال) العربية، ورواية (الحياة رواية) الفرنسية.

كما نجد الكاتب نفسه في رواية أخرى تحمل عنوان (حياة الكاتب السرية) يرسم الحياة الخاصة لكاتب الروايات أيضاً، وكثيراً ما يضع عتبات في مستهل فصول الروايتين عبارة عن أقوال لمشاهير الكتّاب، لها صلة وطيدة بعالم كتابة الكتب الأدبية.

وليس بعيداً عن موضوعة الحلم ذات الطابع الخيالي نلاحظ كينونة (أدب الكتاب) على نحو معين، فها هو ميسو يتوحد مع شخصيته ويصرّح على لسانها:

"الحقيقة... الخيال... طوال حياتي كنتُ أجد الخط الفاصل بينهما غامضاً جداً. ليس هناك ما هو أقرب إلى الحقيقة من الزائف، ولا أحد يخطئ أكثر من أولئك الذين يتخيلون أنهم يعيشون في الواقع فقط، لأنه في اللحظة التي يعتبر الناس مواقف معينة إنها حقيقية، فهي حقيقية في عواقبها" (ميسو، 2021/ 237).

إذ لا يقتصر تجلي الحلم في بنائه موضوعياً فقط، فقد يكون تجليه ذا تحقق عكسي درامي، عبر البناء ثم الهدم الرومانسي. فالحلم ينبلج بقوة في (أدب الكتاب) عامةً، كما تجلى في (سيرة الكتاب) خاصة.

نتيجة ختامية:

أينما وُجِد (الكتاب) وُجِد الحلم، لاسيما من حيث المزاوجة ما بين الواقع والخيال المتحققة في بودقة (الكتاب/ الحلم)، سواء أكان ذلك التحقق إيجابياً أم سلبياً، عبر بناء الحلم أو هدمه، إلا أن ذلك يستوجب طغيان الطابع الأدبي على التقريري المباشر سيرياً. من هنا اختلفت أنواع سيرة الكتاب في استحضار الحلم، فكلما ابتعدت عن التقريرية المباشرة، وزاوجت بين الواقع والخيال، سجلت حضوراً صارخاً للحلم، وكلما كان العكس اقتربت من الواقع وابتعدت عن الحلم.

المصادر والمراجع

1. إبراهيم، عبد الله (2021). ***موسوعة السرد العربي- سيرة كتاب***، ط1. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
2. أبو زيد، أنطوان (2013). ***حياة الكتب السرية" قصص تتخيل سرقات شكسبير ودوما وفرانكشتاين:***

   https://www.independentarabia.com
3. بنياردي، داريا (2023). ***الكتب التي دمرت حياتي***. ط1. (ترجمة: أماني فوزي حبشي). دار صفحة سبعة.
4. بوستيغو، سانتياغو (2022). ***حياة الكتب السرية ليلة قرأ فرانكشتاين دون كيخوت- تاريخ الأدب المنسي***. د.ط. (ترجمة: عبداللطيف البازي). دار مسكلياني.
5. جبرا، جبرا إبراهيم (1986). ***الفنّ والحلم والفعل***، ط1. بغداد: دار الشؤون الثقافية.
6. حسين، علي (2017). ***في صحبة الكتب***، ط1. المملكة العربية السعودية: دار أثر.

7. الرمضاني، ناهض (2015). ***بائع الأمل***. ط1. الإمارات العربية المتحدة: دار ورق.
8. زافون، كارلوس (2016). ***ظِلّ الريح***. ط1. (ترجمة: معاوية عبدالمجيد). بيروت: دار الجمل.
9. عاصي، ناصر (2010). ***أنا الكتاب وهذه سيرتي- سيرة الكتاب ابتداءً من ورق الشجر وصولاً إلى شاشة الأنترنيت***. ط1. بيروت: دار المؤلف.
10. لاشين، حنان (2018). ***أوبال***. ط1. القاهرة: دار عصير الكتب.
-لاشين، حنان (2016). ***إيكادولي***. ط1. القاهرة: دار عصير الكتب.
11. لوجون، فيليب (1994). ***السيرة الذاتية- الميثاق والتاريخ الأدبي***، ط1. (ترجمة: عمر حلي). المغرب: المركز الثقافي العربي.
12. ماي، جورج (1992). ***السيرة الذاتية***. ط2. (تعريب: محمد القاضي وعبدالله صولة). تونس: المؤسسة الوطنية- بيت الحكمة.
13. ميسو، غيوم (2021). ***الحياة رواية***. د.ط. (ترجمة: سمر معتوق). بيروت: دار نوفل.
- (2020). ***حياة الكاتب السرية***. (د.ط). (ترجمة: رانيا الغزال). لبنان: دار نوفل.
14. ميللر، هنري(2012). ***الكتب في حياتي***. (د.ط). (ترجمة: أسامة منزلجي). العراق: دار المدى.

وين، فرانسيس(2007). ***رأس المال لكارل ماركس- سيرة***. ط1. (ترجمة: ثائر ديب). المملكة العربية السعودية: العبيكان. .